المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات
Centre Arabe des Recherches et de l'Etude des Politiques
تونس
Tunisie

النـدوة الدولية:

مخاطر المجتمعات المعاصرة

السياقات، الفاعلون، التجارب واستراتيجيات المجابهة

تونس، 16-15 تشرين الثاني/ نوفمبر 2024

دعوة للمشاركة

1. دعوة

يعلن المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، فرع تونس، عن تنظيمه ندوة دولية بعنوان "مخاطر المجتمعات المعاصرة: السياقات، الفاعلون، التجارب واستراتيجيات المجابهة"، وذلك يومَي 15 و16 تشرين الثاني/ نوفمبر 2024، ويدعو الباحثين من مختلف الاختصاصات العلمية إلى المساهمة في فعاليات الندوة وإرسال مشاريع ورقاتهم البحثية.

2. الورقة المرجعية

مع حلول النصف الثاني من القرن العشرين، غدا العالم مسرحًا لتحولات اجتماعية وتاريخية عميقة سرّعتها التطورات الحادثة على المستويين التكنولوجي والإيكولوجي، وهي تحولات تؤشر غالبًا على الانتقال من الحداثة الأولى ذات الطابع الصناعي إلى الحداثة الثانية المتسمة عادة بالـ "مخاطر الكونية"[1]. وتساوقًا مع هذه التحولات شهد مفهوم المخاطر تطورات لافتة، ليتحول إلى مقاربة متكاملة تُعتمد في تحليل التغيرات العميقة للمجتمع الصناعي، الذي أصبحت فيه العواقب غير المتوقعة للأفعال البشرية أشد تواترًا وكثافة وتأثيرًا في تهديد الوجود البشري برمّته.

وعلى هذا النحو، مثّلت هذه المقاربة، ذات الطابع السوسيولوجي، مدخلًا لنقد "العقلانية الأداتية"، التي تستند إليها المجتمعات (ما بعد) الصناعية المعاصرة في معالجة المخاطر والتنبؤ بها والتنظير لعقلانية بديلة تفتح آفاقًا للنظر، وتزيل الفواصل بين الاختصاصات لتشمل اللّايقين l'incertitude، والمركب والمعقد، وتدمج متغيرات أخرى مختلفة ومتنوعة (سياسية واجتماعية وبيئية)[2]. وشمل توسيعًا لنظر مجتمعات الجنوب الكوني، إذ اتضح أنها ليست بمنأى عن هذه المخاطر خصوصًا في ظل عولمتها Mondialisation des risques، وتبادلها التأثير والتأثر على نطاق كوني، علاوة على إنتاجها مخاطرها الخاصة وذات الخصوصية؛ على غرار النزاعات الإثنية والحروب الأهلية، والفساد، والاستغلال المفرط والفوضوي للموارد الطبيعية، والتغيرات المناخية، واستشراء الجريمة المنظمة، وهشاشة البنى السياسية المحلية والوطنية، ... إلخ.

تقف الدراسات العلمية التي تناولت مسألة المخاطر، بمختلف اختصاصاتها وحقولها، على وجود أزمة هيكلية مركّبة رافقت "الحداثة الثانية"، وجعلت كلًّا من مؤسّسات الدولة الوطنية والسوق الرأسمالية المعولمة وهياكل المجتمع الدولي، وحتى الجماعات العلمية المنظمة وطنيًا وقاريًا ودوليًا، بكل ما طورته وتطوّره من رؤى واستراتيجيات وبرامج وتقنيات تدخّلية، عاجزة عن التحكم في ما أصبح يُعرف بـ "المخاطر الجديدة".

وعملًا على بناء فهم عميق وموضوعي لمخاطر العالم المعاصر، وضمن مقاربة عابرة للتخصصات، ينظّم المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، فرع تونس، ندوة علمية دولية بعنوان "مخاطر المجتمعات المعاصرة: السياقات، الفاعلون، التجارب واستراتيجيات المجابهة"، يقترح فيها جملة من المحاور، أهمها:

1. المخاطر: كونية المفهوم وخصوصية السياقات المحلية

ذاع مفهوم المخاطر على نحو خاص في الجدل العمومي (أوساط علمية، إعلام متخصص وجماهيري، مجتمع مدني، ... إلخ)، إذ اكتسب ما يدل عليه مشروعيَّةً اجتماعيّة حوّلته إلى هاجس يشغل هياكل المجتمع الدولي والدول والحكومات، وصارت معالجته جزءًا من مهماتها واستراتيجياتها وبرامج تدخلاتها.

1 Ulrich Beck & Christoph Lau, "Second Modernity as a Research Agenda: Theoretical and Empirical Explorations in the 'Meta-Change' of Modern Society," *The British Journal of Sociology*, vol. 56, no. 4 (2005), pp. 525 - 557.

2 Ulrich Beck, "From Industrial Society to the Risk Society: Questions of Survival, Social Structure and Ecological Enlightenment," *Theory, Culture & Society*, vol. 9, no. 1 (1992), pp. 97 - 123.

وعلى هذا النحو، استوجبت المخاطر إعادة التفكير فيها، بوصفها موضوع بحث، لضبط مفهومها وتعيين حدودها وتطوير آفاق معالجتها، وتحديد موقع العلوم الطبيعية والإنسانية والاجتماعية منها. وبات من الضروري الإشارة إلى ارتباط مفهوم "مجتمع المخاطر" بجملة من المفاهيم الفرعية الأخرى، وأبرزها: "إدراك المخاطر"، و"حوكمة المخاطر"، و"ديمقراطية (توزّع) المخاطر"، و"القدرة على التكيف مع المخاطر"، و"الهشاشة تجاه المخاطر"، و"المواجهة" و"المسؤولية المجتمعية تجاه المخاطر"، و"التضامن في مواجهة المخاطر". وعادة ما توضع هذه المفاهيم ضمن كوكبة أوسع من المفاهيم المركزية المتعاضدة، على غرار "الحداثة المؤسسية"، و"الكوزموبولوتانية"، و"الكونية"، و"التفكير الانعكاسي" La pensée réflexive. تتشابك هذه المفاهيم لتشكّل رؤى الجماعة العلمية للمسائل المعقدة، التي تواجه مجتمعاتنا المعاصرة، انطلاقًا من أن المخاطر التي يتعرض لها الأفراد، كما تتعرض لها المجموعات والفئات الاجتماعية، لا تنشأ بمعزل عن التاريخ والجغرافيا والهوية والبيئة الاجتماعية والسياسية التي تحيط بها.

في المقابل، تشير النقاشات السائدة والمراجعات العميقة لأدبيات الحداثة إلى الاستخدام المتنامي لمفهوم "الكوارث الكبرى"، للإشارة خاصة إلى ما يكون منها ذا طابع بيئي وتكنولوجي وذا بعد كوني أو عابرًا للدول والمناطق، أمثلة تحليلية لما يقدّم على أنّه من سمات المجتمعات المعاصرة. وقد أدّى هذا الاستخدام إلى التركيز المفرط على هذه الأحداث على حساب أبعادها الأساسية الأخرى (الاقتصادية والديموغرافية والسياسية والاجتماعية والنفسية). وتكتسي معالجات هذه الأمثلة على الأغلب طابعًا ماكروسيوسيولوجيًا، إذْ تُضعف قدرتنا على مقاربة المخاطر في مستوياتها المحلية، وفي سياق أثرها في أسلوب العيش اليومي للأفراد وأنماط عيش الجماعات. ومن هنا، نجد أنفسنا، ورغم توسع دائرة النقاش وتعدد الاختصاصات المتدخلة، مكبّلين ضمن زاوية نظر معينة تخفي جبلًا للمخاطر الأخرى التي تهدد مجتمعاتنا، خصوصًا منها غير المصنفة تحت سقف المخاطر التي تعيشها المجتمعات (ما بعد) الصناعية.

تضعنا هذه الاحترازات النظرية والمفهومية والمنهجية أمام جملة من التحديات الرئيسة في علاقة بقدرة المنظومة المفاهيمية المتمحورة حول مفهوم "المخاطر"على تطوير منوال تحليلي قادر على تحديد المخاطر وفهمها وتفسيرها وتطوير سياسات الوقاية منها وآليات مجابهتها، ضمن سياقات معقدة ومتنوعة. فأيّ معنى لمفهوم "المخاطر" بعد نحو خمسة عقود من ابتداعه وأربع عشريات من بداية استخدامه في التحاليل السوسيولوجية؟ ألهذا المفهوم القدرة على تحليل التشكلات الجديدة للصلات الاجتماعية والتحولات الراهنة على مستوى المعيش اليومي؟ وأيّ معنى له ولجملة المفاهيم الفرعية ذات الصلة، خصوصًا ضمن مجتمعات غير صناعية؟ أَلِلْمنظومة النظرية المتمحورة حول مفهوم المخاطر فاعلية إجرائية قادرة على التكيف مع رهانات دراسة بلدان الجنوب وتحليلها؟ ألهذه المنظومة النظرية القدرة على تحليل سياقات محلية معقّدة ثقافيًا وإثنيًا؟ وهل يمكن استثمار مفهوم المخاطر وجملة المفاهيم الفرعية ذات الصلة في تطوير توجهات نظرية ما بعد الاستعمارية والديكولونيالية؟

2. المخاطر: الفاعلون الجدد وجدل التصنيفات

رغم ارتباط مفهوم المخاطر في بداياته بالتحاليل الاقتصادية خلال سبعينيات القرن العشرين، وما عاشته مؤسسات السوق الرأسمالية آنذاك من أزمات حادّة أتاحت الفرصة لنمو قطاع التأمين، فقد عرف استعمالاً واسعًا في مجالات علمية مختلفة. لهذا، يعتبر العديد من الباحثين اليوم أن "لكل شيء مخاطر"، وأنه على المختصين أخذها في الاعتبار والاستعداد لإدارتها The Risk Management of Everything[3]. وقد عززت أوملة Monétarisation الاقتصاديات العالمية الكبرى الحاجة إلى تطوير نماذج لإدارة الأزمات

3 Michael Power, "The Risk Management of Everything," *The Journal of Risk Finance*, vol. 5, no. 3 (2004), pp. 58 - 65.

الاقتصادية، خصوصًا أن ثمانينيات القرن العشرين قد شهدت بروز أنواع جديدة من المخاطر في مجالات الصحة والأمن والحقوق والكرامة[4]، وذلك قبل أن تبرز المخاطر المعلوماتية وما تطرحه تقنيات الذكاء الاصطناعي من قلق اليوم.

سعت العديد من التحاليل، خصوصًا منها ذات الطابع الخِبرْي (= الإمبريقي)، مثل تلك التي تعتمدها تقارير مراكز الخبرة والمنظمات الدولية، إلى تصنيف المخاطر؛ وذلك بهدف تفكيكها ومحاولة تطوير سياسات عمومية موجهة كل في مجال اختصاصها. أدّت هذه المساعي إلى بروز العديد من الفاعلين المحليين (الدول بمختلف أجهزتها وطنيًا ومحليًا، ومنظمات المجتمع المدني، ومكاتب الاستشارة والخبرة) والدوليين (المنظمات الدولية التابعة للأمم المتحدة، والبنك الدولي، ومنظمة الصحة العالمية، ... إلخ) في مجال معرفة المخاطر ومعالجتها، حرص جميعهم على تطوير تصنيفات للمخاطر تمكّن من معالجتها أو الحد من آثارها.

وخلال السنوات الأخيرة، جرى تبنّي تصنيف يعتمد مصطلح "المخاطر الجديدة"، للإشارة على الأخص إلى المخاطر السياسية؛ إذْ يمكن أن يكون لاستقرار النظام السياسي وكيفيات تشكّله تأثيرٌ حاسم في قدرة المجتمعات على البقاء وقدرة النسيج الاقتصادي على التوازن. وتشمل المخاطر السياسية الحرب، الداخلية أو الأهلية خاصة، أو عدم الاستقرار الجيوسياسي واستشراء الفساد و/ أو سوء الإدارة، والجريمة المنظمة، وضعف دولة الرفاه و/ أو انهيار منظوماتها الرعائية والخدمية. ومن المخاطر الجديدة أيضًا الجرائم الإلكترونية، وممارسات التحرش والوصم والتعنيف والاعتداء، والإرهاب، وانعدام الأمن، والقلق المتزايد على صحة المواطنين وسلامتهم. وفي السياق نفسه، تزايدت المخاطر الاجتماعية والثقافية. وتشير هذه التسميات إلى مخاطر متعددة الأوجه، وهي تشمل التغيرات الديموغرافية غير المتحكم فيها، وتفاوت توزيع الدخل ومسارات الحراكات الاجتماعية المتناقضة، وتسارع التغيرات في أنماط العيش، وتغيرات المواقف تجاه قيم العمل والترفيه والدين، ونموّ النزعة الاستهلاكية وارتفاع تكاليف المعيشة وفشل سياسات إدارة الاختلاف.

غير أن التصنيفات الجديدة للمخاطر لا تفيد ضرورة التخلي عن التصنيفات القديمة. إن نشأة فكرة المخاطر في حضن العلوم الاقتصادية أبقت ضمنيًا المخاطر الاقتصادية أحد أبرز مجالات البحث الراهنة لأنها مصدر قلق كبير لدى القائمين على المؤسسات الاقتصادية الخاصة منها والعمومية، غير أنها تمثّل، وفي الوقت ذاته، تهديدًا لكافة الأفراد والجماعات؛ إذْ إنها تشمل انعكاسات الدورة الاقتصاديةretournement du cycle économique، واهتزازات الأسواق المالية وتقلبات أسعار الصرف. وهي مخاطر لا تقتصر فقط على فترات الركود، بل تهدد الاقتصاديات حتى خلال فترات الازدهار، وبما يعنيه ذلك من آثار عابرة للدول والقارات.

وفي سياق توسّع استعمال المفهوم في غير الحقل الاقتصادي، تبرز الإضافات الكبيرة التي عرفها المجال الذي اهتم به، خلال ثمانينيات القرن العشرين، علماء الاجتماع، على غرار تطويرهم تحاليل ركزت على المخاطر التكنولوجية، التي شملت آثار أنشطة الصناعات النووية والكيميائية والطاقية والفلاحية والزراعية المكثّفة للمخصّبات الصناعية والمستخدمة فيها، والمحَوِّرات الجينية والمدخلات الكيميائية وإدارة النفايات. تشمل هذه المخاطر الآثار البيئية والصحية والديموغرافية لمختلف هذه الصناعات، بما في ذلك تهديد التنوع البيئي والنباتي والحيواني على الأرض وفي البحار والمحيطات وفي السماء، وارتفاع عدد الكوارث الطبيعية الناجمة عن التغير المناخي الذي تسبب فيه الاحتباس الحراري[5].

ونظرًا إلى كل هذه العناصر، يمكن السؤال المتعلق بكيفية تحديد المخاطر الجديدة وسياقات بروزها أن يتفرع إلى أسئلة من قبيل: من هم الفاعلون المتدخلون في عملية تصنيف المخاطر وإدارتها محليًا ودوليًا؟ ومن هم الفاعلون الجدد؟ وما تصنيفاتهم؟ وكيف تطورت هذه التصنيفات تاريخيًا؟ وكيف تختلف باختلاف السياقات

4 Olivier Hassid, *Le management des risques et des crises*, 3eme éd. (Paris: Dunod, 2011).

5 Ibid.

والمجالات؟ وما شروط هذا التصنيف وأدواته؟ وما هي ديناميكيات المفاوضة التي تمكّن من تحديد هذه التصنيفات وتكسبها شرعيتها؟ وما موقع الجماعة العلمية الأكاديمية بالأساس ضمن هذه المنظومة؟ وكيف تساهم هذه التصنيفات في تطوير سيرورة إدارة المخاطر؟

3. المخاطر: مؤشراتها وأدوات قياسها

تفرض عملية إدارة المخاطر التمكّن من قياسها وتحديد مدى انتشارها ومستوى تهديدها[6]. فمثلًا، يعتمد البنك الدولي "الهشاشة" مؤشرًا محوريًا فيما يتعلق بقياس مدى التعرض إلى المخاطر[7]. وبناءً على ذلك، يمثّل "تقييم المخاطر والهشاشة" أحد أبرز الأدوات التي يستخدمها البنك لفهم أسباب التعرض للفقر، وتحليل الصدمات، وتحديد الثغرات في السياسات الرامية إلى إدارة المخاطر الاجتماعية. وتهدف هذه السياسات إلى تطوير استراتيجيات الإدارة من خلال قياس مدى تعرّض الأُسر للمخاطر والصدمات، والتي يتطلب تقييمها تجميع بيانات دقيقة تكشف أثرها في الأفراد وقدرتهم على التكيف، الأمر الذي قد يشكّل تحديًا في بعض الأحيان في بلدان الجنوب. علاوة على ذلك، لا تقتصر تحليلات الهشاشة على البعد الاقتصادي، ويمكن تطبيقها على جوانب أخرى من المعيش اليومي، مثل الصحة والتعليم والتغذية والأمن والحصول على السكن اللائق. ويعتمد البنك الدولي في تحاليله هذه جملة من المؤشرات، أهمها: "تقلب الدخل"، و"الاعتماد على الزراعة"، و"النفاذ إلى الأصول"، و"النفاذ إلى آليات الحماية الاجتماعية وشبكات الدعم الاجتماعي"، و"النفاذ إلى التعليم"، و"القدرة على اكتساب المهارات"، و"تنويع مصادر الدخل"[8].

وتُستخدم هذه المؤشرات لتقييم مدى تعرّض الأفراد لمختلف الصدمات. فهي تساعد على تحديد أشد فئات الساكنة هشاشة. لكنها لا تبدو اليوم كافية في ظل توسع خارطة المخاطر التي تواجهها المجتمعات، ولذلك تشير عديد الدراسات إلى ضرورة إضافة مؤشرات أخرى تتعلق أساسًا بمستويات التعرض إلى العنف بأنواعه سواء كان أُسريًا أو ناجمًا عن صراعات سياسية أو إثنية أو جريمة منظمة، من دون إغفال المؤشرات في علاقة بالمخاطر الإعلامية ومخاطر الذكاء الاصطناعي والأمن السيبراني وحماية المعطيات الشخصية.

فما هي أبرز مؤشرات الهشاشة؟ وما طبيعتها (كمية، كيفية)؟ وما مصادرها؟ وكيف يمكن قياسها؟ وما الأدوات المخوّلة لذلك؟ وكيف يمكن هذه المؤشرات أن تساهم في إدارة المخاطر ومجابهة تأثيراتها؟ ومن هم الفاعلون الذين يقومون بصياغة هذه المؤشرات وقياسها؟ وما طبيعة الصلات التي تربطهم ومستوى التنسيق بينهم؟ وما دور الفرد المعرّض للمخاطر ضمن هذه المنظومة؟

4. المخاطر: العقلانية المؤسساتية في مواجهة التمثلات الاجتماعية

يشير برونو لاتور Bruno Latour في مقدمة النسخة الفرنسة من كتاب **مجتمع المخاطر**[9] إلى أن نظرية المخاطر نشأت في سياق نقد المجتمعات الصناعية وما بعد الصناعية في العالم الغربي الحديث. وقد يكون من المجدي تجديد زوايا النظر، فبدلًا من النظر إلى عصرنا على أنه استثنائي من حيث المخاطر، فإنه من المناسب أن نسأل ما إذا كان الغرب قد أصبح أشد حساسية للمخاطر بسبب عوامل داخلية، لا بسبب تحولات

6 Helmut Mausser & Rosen Dan, "Beyond VaR: From Measuring Risk to Managing Risk," in: *Proceedings of the IEEE/IAFE 1999: Conference on Computational Intelligence for Financial Engineering (CIFEr)* (New York: IEEE, 1999).

7 Robert Holzmann & Valerie Kozel, "The Role of Social Risk Management in Development: A World Bank view," *IDS Bulletin*, vol. 38, no. 3 (2007), pp. 8 - 13.

8 Ibid.

9 **Ulrich Beck,** *La société du risque: Sur la voie d'une autre modernité*, Laure Bernardi (trad.) (Paris: Flammarion, **2001**).

كونية. فقد ساهمت شيخوخة السكان مثلاً وأمولة الاقتصاد والمنافسة الإعلامية والتكنولوجية، في جعل القلق أداة اقتصادية وسياسية فعّالة، يجري إعادة إنتاجها وتوزيعها من أجل خلق الثروة. ومن ثم، يمكن أن نتحدث هنا عن صناعة المخاطر، وهي عملية تعتمد على نحو كبير على العوامل الاجتماعية والثقافية، وعلى وعي الأفراد بالتهديدات التي تحيط بهم وتمثُّلهم لها.

فحتى وإن كانت المخاطر وآليات إدارتها مصمّمة باسم عقلانية متعالية ذات طابع مؤسساتي، فهي تظل نتاجًا للنشاط البشري الذي يجري صلب المجتمع، وهو ما يجعلها تتجاوز البعد التقني البحت وتكتسي صفة الإنسانية، في المعنى الاجتماعي التاريخي للكلمة. وبالفعل، تتدخل المصالح الخاصة والعادات والمعتقدات والتقاليد، التي ينشأ عليها الأفراد، وحتى موارد الخيال والأسطورة التي تكون في متناولهم، وصولاً إلى الخصومات والديناميكيات المحلية في إدراكهم، وإدراك الجماعات لمختلف أنواع المخاطر، وتعريفها وتحديد مصادرها، وكيفيات معالجتها. يمكن اعتبار المخاطر، في جزء منها على الأقل، تمثلاً فرديًا وجماعيًا يساعد على توقّع مستقبل محتمل. ولذلك، هي موجودة أساسًا في قلب الصلات التي تقوم بين الأفراد أو الجماعات وفقًا لتمثّلاتهم الاجتماعية لواقعهم. وفي هذا السياق ذاته، تخضع الجهات الفاعلة المؤسسية، سواء أكانت متخصصة أم غير مختصة، للمنهج نفسه في تعريف المخاطر وتوقعها وتفسير كيفيات تعاملها معها، وإن كانت تستخدم أدوات مفاهيمية، أو نظرية، أو علمية، أو خبرية عملياتية، سواء أكانت بسيطة أم معقدة.

يدعو فهم المخاطر على هذا النحو إلى تحليل تصورات المتصرفين فيها، وتصورات أولئك المعرّضين لها مباشرة وممارساتهم تجاهها معًا في وقت واحد؛ لأنهم غالبًا ما يتقاسمون مجالها وتاريخها وسياقاتها الاجتماعية والسياسية والثقافية، ما يقلّص حدود التمايز بين الموضوعي والذاتي في التعامل معها، ويضعف قدرة العقلانية المؤسساتية على التشخيص والتوقع وإيجاد الحلول أو تخفيف الأثر على الأقل[10]. ويصحّ هذا خصوصًا أن التمثلات، وعلى الأخص إذا ما تضاربت، يمكن أن تتحول، كما شهدناه مثلاً خلال جائحة فيروس كورونا المستجد (كوفيد19-)، إلى عائق أمام إنجاح التدخلات العاجلة للحد من تأثيرات المخاطر.

فكيف يتمثل الأفراد وتتمثل المجموعات المخاطر؟ وكيف تختلف هذه التمثلات؟ أَبِاختِلاف الانتماءات الطبقية؟ أم الثقافية؟ أم الجغرافية-المناطقية؟ أم الجندرية؟ أم بجميعها في تداخلها وتراكبها؟ وهل يحمل المتصرفون في المخاطر والمتضررون منها التمثل نفسه إزاءها؟ وما نقاط الالتقاء والاختلاف بينهم؟ وهل يمكن هذه التمثلات أن تشهد تحولات؟ كيف؟ ومتى؟ وبحسب أيّ منطق؟ وما الأدوات المنهجية التي تمكّن من استخراج هذه التمثلات وفهمها وتعيين كيفيات اشتغالها؟ وكيف يمكن توظيف دراسة تمثلات المخاطر في تطوير أدوات إدارتها والتصرف فيها ومعالجتها؟ وهل يمكن هذه التمثلات أن تكون عائقًا أمام نجاعة تدخلات الدولة والمنظمات المختصة؟

5. المخاطر: التجارب الفردية/ الجماعية واستراتيجيات المواجهة

تشكّل المخاطر والتهديدات الناجمة عنها مناخًا مواتيًا ممكنًا لنموّ مشاعر الهشاشة النفسية والشعور المستمر بالخطر وفقدان التوازن النفسي والاجتماعي. وفي مثل هذه السياقات، يمتد شعور الأفراد كما تشعر المجموعات بأنهم سيكونون بين الفينة والأخرى الضحية المقبلة لهذه المخاطر المحدقة بهم، وهم على "يقين" أن هذه التهديدات يمكن أن تحل بهم في أي وقت ودون إنذار واضح[11]. وبالفعل، تفيد مختلف إحصائيات المنظمة العالمية للصحة أن مشاعر القلق والخوف والرعب تنتشر على نحو لافت بين الفئات الاجتماعية، وأنها مشاعر تخضع إلى مبدأ التفاوت زمانًا ومكانًا وبحسب المجموعات.

10 Hélène Joffe, "Risk: From Perception to Social Representation," *British Journal of Social Psychology*, vol. 42, no. 1 (2003), pp. 55 - 73.

11 Jean-Pascal Assailly & Claude Got, *La psychologie du risque* (Paris: Lavoisier, 2010).

وتعبّر حالات نفسية عديدة عن هذا العصاب الجماعي الذي يصعب تحديده، لكنه متوقع، والذي ليست له ملامح ولا تمكن مجابهته، ويزحف باستمرار دون أن تكون لنا القدرة على تحديد أثره وتوقيت وقوعه. ولمجابهة هذا التوجس المبهم والتكيف معه يبتكر الأفراد وتبتكر الجماعات والمجموعات استراتيجيات مختلفة. ففي حين يلوذ العديد للتخفيف من وطأة تلك المخاطر بالعيادة و"العناية بالنّفس والجسد" وتقنيات إدارة الخوف والاكتئاب، تظل هذه الخيارات باهظة التكلفة ويتعذّر النفاذ إليها بالنسبة إلى بعض الفئات، وهو ما يجعل أفرادها يميلون إلى "الانقطاع"عن العالم Décrochage والانطواء على الذات قدر الممكن، فرديًا على أمل التمكّن من حصانة ما من تلك المخاطر. يمكن ذلك الانقطاع أن يكون فرديًا بحثًا عن خلاص منعزل، ويمكن أن يكون جماعيًا كما تبرزه ظواهر من قبيل حوادث الانتحار الجماعي لأعضاء طوائف دينية تعتقد في قرب "فناء العالم"، أو الـ "هيكيكوموري"[12] في اليابان، حيث يفضل عدد كبير من الأفراد (يتجاوز المليون شخص)[13] العيش في عزلة تامة عن العالم الخارجي، وهي ظاهرة آخذة في الانتشار اليوم في كثير من البلدان، وحتى بين الشباب، مع الانتشار الكبير لوسائل التواصل والألعاب الإلكترونية.

وكما أشرنا سابقًا، لا يواجه الأفراد ولا تواجه المجموعات هذه المخاطر على نحوٍ متساوٍ؛ إذْ تشهد المجتمعات حالات من اللاتكافؤ توزّعهم على فئات متباينة على أساس ما يتوافر لهم من موارد نفسية واجتماعية "غير متساوية" لعيش تلك التجارب العميقة التي تظل حاضرة إلى أمد في ذاكراتهم ووجدانهم[14]. ولا تعيش جميع الفئات والشعوب تجربة الخطر والخوف منه بنفس الطريقة؛ ذلك أن الرواسب الثقافية والنفسية في الوعي الجمعي تؤثر، كما ذكرنا، في تمثلهم للمخاطر. وفضلًا عن ذلك، تتيح تلك التجارب عيشًا متشاركًا للمخاطر لتتشكل حولها سرديات لا تخلو من تدرّب مُضْنٍ على نحت هويات فردية وجماعية على محكّ مِحَنها[15].

فكيف يعيش الأفراد تجاربهم مع المخاطر؟ وما العوامل التي تؤثّر في هذه التجارب؟ وما آثار تجربة المخاطر في صحة الفرد النفسية والعقلية؟ وما انعكاساتها السلوكية؟ وما الاستراتيجيات التي يتبعها الأفراد في مواجهة هذه المخاطر؟ وما طبيعة الصلات التي تربطهم بمختلف المؤسسات المسؤولة عن إدارة هذه المخاطر ومجابهة تأثيراتها؟ وكيف تعيش المجموعات الاجتماعية تجاربها مع المخاطر؟ وما الاستراتيجيات التي تتبعها المجموعات والجماعات في مواجهة هذه المخاطر؟ وما انعكاسات سياسات إدارة المخاطر على حياة الفرد ضمن المجموعة/ المجموعات التي ينتمي إليها؟ وما الفوارق بين تجارب التعرض للمخاطر الفردية والجماعية؟

6. المخاطر: المجالات الجغرافية والحدود الافتراضية

للمخاطر مجالات محددة عادة ما تكون حدودها واضحة حتى وإن كانت ذات طابع افتراضي. تشتغل الجماعات البشرية والسياسات العمومية على إنتاج هذه المجالات واستثمارها بشريًا واجتماعيًا وسياسيًا، خصوصًا[16] أن الفشل كما الإخفاق في مجابهتها عاملان مُحَدِّدان في تجديد الشرعيات الاجتماعية، السياسية منها وغير السياسية، ورهان حاسم لتشكيل الرأي العام. وفي هذا الإطار، تراكِمُ المجموعات الاجتماعية المختلفة إرثًا من الممارسات والتمثلات، التي تحرص على التحكم في المخاطر وتقليص خسائرها قدر الإمكان. ولذلك،

12 Takahiro A. Kato et al., "Does the 'hikikomori' Syndrome of Social Withdrawal Exist Outside Japan? A Preliminary International Investigation," *Social Psychiatry and Psychiatric Epidemiology*, vol. 47 (2012), pp. 1061 - 1075.

13 ينظر: "تعرف على الـ"هيكيكوموري".. العزلة التي يعيشها مليون ياباني"، **اليابان بالعربي**، 2019/6/13، شوهد في 2023/12/8، في: https://bit.ly/48bHFHm

14 Thibault Gajdos & John A. Weymark, "Introduction to Inequality and Risk," *Journal of Economic Theory*, vol. 147, no. 4 (2012), pp. 1313 - 1330.

15 Simon Thompson, "Trust, Risk and Identity," in: Sean Watson, Anthony Moran, *Trust, Risk and Uncertainty* (London: Palgrave Macmillan UK, 2005), pp. 26 - 46.

16 Guy Di Méo, *Géographie sociale et territoires* (Paris: Nathan, 1998).

عادة ما تحرص على توفير الأدوات والاستراتيجيات اللازمة للتحكم في المخاطر؛ "تقطيع إداري" Découpage administratif، "أنظمة معلوماتية"، "أنظمة إنذار"، "أنظمة تواصل"، "هياكل مختصة مؤقتة أو دائمة"، "مجموعات تدخّل متخصصة"، ... إلخ. وقد تُنتج هذه الاستراتيجيات مجالاتٍ جغرافيةً وفضاءاتٍ جديدةً في ضوء حدوثها وطرق التصرف فيها؛ من قبيل "تهيئة جديدة"، "تشريعات جديدة"، "طرق عيش وتقنيات موارد مغايرة لما كان"، ... إلخ.

على هذا النحو، فإن المخاطر لا تتمظهر في فضاءات "خالية" بل في مجالات آهلة، حتى وإن غابت عنها الساكنة. إنها غالبًا ما تدعو الدولة والجماعات ومختلف الفاعلين (سلطات مركزية، ومحلية، وخبراء، وإدارة، وشركات، ومجتمع مدني، ... إلخ) إلى التدخل من أجل تحقيق "نجاعة السيطرة" عليها والتحكم فيها وتحوير هندسة الفضاء وإعادة تشكيل الصلات الاجتماعية صلبه؛ ليحتوي المخاطر ويمنع تسرّبها إلى فضاءات مجاورة. وكما أشرنا في عنصر سابق، لا يخلو كل ذلك من تمثلات وإدراكات وممارسات مختلفة قد تصل حدّ التباين لأنها تعبرّ في الكثير من الأحيان عن مصالح ورؤى لا تحدّدها مجرّد المواقع المختلفة، بل التصورات المتناقضة أيضًا. وهذه التصورات محكومة أيضًا بمميزات المجال الجغرافي، الذي تنشأ فيه وليس فقط بالسياقات الثقافية والاجتماعية والسياسية. وحالما نسعى إلى التوقّي منها أو نبادر إلى محاولة التحكم فيها، تخلق المخاطر حالات بائنة من عدم المساواة، وهي ليست حالات فئوية فقط، بل حالات مجالية أيضًا. فما تتيحه الدولة/ الجماعات المحلية للأفراد، عادةً ما يُبرز شَرْخًا واضحًا يشقُّ الجماعات البشرية إلى "مناطق" و"جهات" و"مخيمات" أو "معازل"، تختلف إمكانياتها في مواجهة المخاطر.

فكيف تجري هندسة مجالية المخاطر؟ وكيف تُوزَّع بين مختلف المجالات الجغرافية؟ وما الفضاءات الأكثر عرضة للمخاطر؟ ولماذا تنفتح مجالات معيّنة أكثر من غيرها على المخاطر؟ وما الآليات التي تمُكّن من السيطرة المجالية على المخاطر؟ ومَن هم الفاعلون المتدخلون في كل مجال مخاطر محدد؟ وكيف يتعامل مديرو المخاطر مع المخاطر المعلوماتية؟ وكيف يرسمون حدودها المجالية في عالم افتراضي؟

7. المخاطر: التوظيفات وقابلية الاستثمار

ترسّخت فكرة المخاطر في إدراك الأفراد والجماعات والدول حتى غدت "هَوَسًا" لا يخلو أحيانًا من مبالغة وتوظيفات ملتبسة. وفتحت هذه الهواجس المتعاظمة المجال لجعل المخاطر "علمًا" يُدرَّس في الجامعات من أجل حسن إدارتها والوقاية منها وتفاديها بأقل الخسائر الممكنة[17]. وجرى تثمينها وجعلها مجالًا للاستثمار فنمَت معارف ومهارات وشركات مختصة تعرض خدماتها و"تؤمّن" الأفراد والجماعات، وحتى البلدان، من التهديدات المحدقة بها[18].

تشهد الابتكارات وبراءات الاختراع في هذا المجال على أن صناعات بأكملها وتكنولوجيات فائقة الجودة تعرف تطورًا هائلًا من أجل تأمين الناس من المخاطر. ولم تعد رواية جورج أرويل George Orwell(1984) محض خيال علمي، بل غدت بعض تفاصيل أحداثها على الأقل، ومنذ سنوات، حقيقة ساطعة تتدعم في مجرى حياتنا اليومية. ولقد بثّت تكنولوجيا الحراسة والوقاية في جميع نسيج الحياة اليومية وأدق شرايينها[19]، لتتحول في ذاتها إلى خطر بما تمُثّله من انتهاك للخصوصية والمعطيات الشخصية للأفراد.

---

17 Linda Schenk et al., "Teaching and Discussing about Risk: Seven Elements of Potential Significance for Science Education," *International Journal of Science Education*, vol. 41, no. 9 (2019), pp. 1271 - 1286.

18 René M. Stulz, "Rethinking Risk Management," in: Donald H. Chew (ed.), *Corporate Risk Management* (Columbia: Columbia University Press, 2008), pp. 87 - 120.

19 Ali H. Mokdad, "The Behavioral Risk Factors Surveillance System: Past, Present, and Future," *Annual Review of Public Health*, vol. 30 (2009), pp. 43 - 54.

ويتيح الشعور الدائم بتهديد المخاطر وصعوبة توقعها قابلية تسليم "أنفسنا ومصائرنا" للغير من أجل توفير الوقاية والحماية، حتى لو كان ذلك على حساب حريتنا بحثًا عن الأمن والاستقرار والسلامة[20]. ولا يخلو هذا التوظيف الناعم من مقايضة تجعل الناس في مواقع عديدة يفضلون الوقاية من المخاطر والبحث عن مزيد من الحماية على تملك حريتهم. فما هي ملامح "أنماط إنتاج" الحماية من المخاطر؟ وما حجم المعاملات الاقتصادية في مجال التأمين من المخاطر على المستوى الدولي؟ وكيف يجري الترويج لكل تلك البضاعة والخدمات؟ وأيّ تقنيات دعاية وإعلام تُستخدَم في هذا الترويج؟ وما أبرز آثار ذلك في مستوى وعي الأفراد والجماعات ومدركاتها؟ وهل هناك هيئات رقابية، وطنية أو دولية، تراقب عملها؟

8. المخاطر: سياسات التصرف وآليات الوقاية

في مواجهة المخاطر المعممة التي تنوعت مصادرها وتوسعت فضاءاتها حتى شملت كل الأنشطة الإنسانية في المجتمعات المعاصرة، بما فيها فضاءات الأنشطة الرياضية والترفيهية (عنف الملاعب، الألعاب الإلكترونية القاتلة، ... إلخ)، بنت المجتمعات أنساقًا مُحْكمة الترابط على حد قول نيكلاس لوهمان[21]، من "صناعة التحكم في المخاطر والوقاية منها "ضمن مقاربات تشدد على حوكمة المخاطر[22]، وهي عادةً أنساقٌ تجمع بين راسمي السياسات الحكومية (الدولة، الجماعات المحلية) ومتصرفي المخاطر ومنتجيها، فضلًا عن الخبراء والمؤسسات الخاصة، التي راكمت معارف ومهارات في شكل خدمات تحرص على درء المخاطر واستباقها.

ولا شك في أنّ مناخ الخوف المتزايد من المخاطر مثّل إطارًا مناسبًا للاستثمار فيها ضمن قطاعات اقتصادية ضخمة تُولي الموارد المالية والبشرية والتقنية الخاصة بالمخاطر (تكنولوجيا الرقابة والحراسة، برمجيات توقّع المخاطر واستباقها، أنظمة الإنذار المبكر، شركات التأمين، شركات أمنية وقوى عاملة متعدّدة التخصصات، أنظمة معلوماتية وبرمجيات، ... إلخ)، عناية خاصة. وقد اقتضى تعقّد المخاطر وتداخل مكوناتها تكاتف جهود جملة من المؤسسات والهياكل والفاعلين العموميين والخواص حتى تُحكم تعاونها وتنسّق تدخلاتها من أجل رسم استراتيجيات وبناء مخططات عمل تحدّ من تهديداتها[23]. إن حوكمة المخاطر غدت أكثر من أيّ وقت مضى ضرورة، وهي لا تنشد النجاعة الكاملة في التصدي لها، بل تسعى فقط إلى تجنب أشكال الانحراف المتعددة، التي شملت مخططات مواجهتها.

لقد بينت دراسات عديدة أن إدارة الكوارث لا تخلو من أشكال فساد عديدة تحوّل المخاطر إلى مجال للتربّح والإثراء غير المشروع، فضلًا عن استشراء أشكال متعددة من الابتزاز والتحيّل. وإذا كانت هذه الترسانة الهائلة، التي راكمتها المجتمعات، وإن بأشكال مختلفة من علوم مجابهة المخاطر وتقنياتها La cindyniqueقد حازت تقدمًا واضحًا في المجال التقني، فإن الإخفاق لا يزال يلاحقها فيما خلّفته من آثار جانبية بليغة تتعلق بتنامي الشعور الدائم بالخوف وغياب الأمان، فضلًا عن انتهاكات عديدة شملت حقوق الإنسان. لقد أباحت مشروعية مطاردة "المخاطر الجديدة" لبعض الدول أحقية مراقبة الأفراد والتنصّت عليهم والحدّ من حرياتهم الأساسية؛ ما جعلهم في وضع مقايضة بين خيارَي الأمن أو مجابهة الخطر فُرادى ودون موارد، فضلًا عن مظاهر اللّاعدالة في مدّ مظلات التأمين بين الفئات والجهات.

---

20 Anthony Giddens, "Fate, Risk and Security," in: James F. Cosgrave (eds.), *The Sociology of Risk and Gambling Reader* (New York: Taylor & Francis Group, 2006), pp. 29 - 60.

21 Niklas Luhmann, *La confiance: Un mécanisme de réduction de la complexité sociale* (Paris: Economica-Collection Études Sociologiques, 2006).

22 Hassid.

23 Mark C. Stafford & Omer R. Galle, "Victimization Rates, Exposure to Risk, and Fear of Crime," *Criminology*, vol. 22, no. 2 (1984), pp. 173 - 185.

فما الأسس التي تُبنى عليها أنساق التصرف في المخاطر؟ وما الأدوات التي يجري اعتمادها في مثل هذه المهمات؟ وما مؤشرات الحوكمة في مجال التصرف في المخاطر؟ وما العوائق التي تحدّ من نجاعة التدخل بين مختلف الفاعلين؟ وكيف يمكن المجتمعات أن تُحَوْكم التدخل في المخاطر وإحكام التصرف فيها حتى لا تغدو فرصة سانحة للفساد؟ وما الظواهر المنحرفة التي تخلقها سياسات مجابهة المخاطر؟ وكيف تجري معالجتها؟ وكيف يجري تحقيق العدالة والإنصاف في مد مظلات التأمين ضد المخاطر؟ وما مقاييس العدالة والإنصاف في هذا المجال؟

انطلاقًا من التساؤلات التي طرحتها هذه الورقة المرجعية، تحرص ندوتنا على أن تكون فرصة يجري خلالها الغوص في عالم "مخاطر المجتمعات المعاصرة" وتحليلها وتفسير عواملها وآثارها العديدة والمركبة، وذلك من زوايا نظر متعددة تعكس تنوعًا في الاختصاصات وتكاملًا بينها، في تجاوز لجملة الأفكار التي قدّمها الاقتصاديون الأوائل، روّاد النظرية، الذين ركّزوا على دراسة المخاطر الاقتصادية والمالية التي تواجه مؤسسات السوق الرأسمالية بالأساس. وتطمح هذه الندوة أيضًا إلى ربط الجسور بين المقاربة السوسيولوجية التي أطلقها أنتوني غيدنز وأولريش بيك خلال ثمانينيات القرن العشرين وتسعينياته، ومقاربات أخرى، أكثر راهنيّة، تتخذ مداخل إبستيمية جديدة، كالمدخل النفسي الذي يركّز على دراسة الانفعالات والمشاعر والأحاسيس، على غرار الخوف والرهاب والرعب والهلع وانهيار الثقة أمام تنامي حالات اللّاأمان، دون إغفال تعاظم اللايقين أمام تمدد اللامتوقع والفوضى، إضافة إلى المدخل الجغرافي البيئي في علاقة بآثار التحولات المناخية، ومدخل السياسات العمومية وإدارة الأزمات.

نأمل أن يثري المشاركون الندوة، فهي تسعى إلى التعرّف على التطورات الأخيرة التي عرفتها نظرية المخاطر في العالم من زوايا بحث متنوعة، كالعلوم السياسية والاجتماعية والإنسانية والجغرافية والاقتصادية والمالية والطبية والصحية والبيئية والإيكولوجية والفلاحية والمناخية، وغيرها من الاختصاصات الأخرى مثل العلوم الإعلامية والاتصالية، والمهتمة بالتواصل والذكاء الاصطناعي، مع إيلاء عناية خاصة بتقديم التجارب ومقارنتها، سواء كانت من بلدان الجنوب أو الشمال، أو في ما بينها.

3. أعضاء اللجنة العلمية:

- مهدي مبروك
- منير السعيداني
- محمد القرقوري
- علي الهمامي
- توفيق بلحارث
- رياض بن خليفة
- حسان الموري
- الصادق الحمامي

4. تواريخ مهمة

تاريخ انعقاد الندوة العلمية: 15 و16 تشرين الثاني/ نوفمبر 2024

الموعد النهائي لتقديم الملخصات: 30 كانون الثاني/ يناير 2024

موعد الإعلام بنتائج التقييم: 30 شباط/ فبراير 2024

آخر موعد لقبول الورقة العلمية الكاملة Full Paper: 30 حزيران/ يونيو 2024

الإعلام النهائي بقبول المشاركات: 15 آب/ أغسطس 2024

5. شروط المشاركة

ملء استمارة التسجيل: يمكن ملء الاستمارة الموجودة على الموقع الإلكتروني: https://rb.gy/fn0jlf، مع اختيار إحدى النقاط المقترحة.

تقديم الملخصات: يذكر المشارك المحور الذي يشارك فيه. وعدد كلمات الملخص في حدود 700 كلمة، بما في ذلك عنوان المداخلة، والإشكالية المطروحة، ومنهجية البحث والأفكار الرئيسة، فضلاً عن خمس كلمات مفتاحية على الأقل، وقائمة مراجع وجيزة. **مع الاحترام التام للشروط العلمية في كتابة الورقة وكتابة الهوامش وقائمة المراجع، يُنظر:** http://carep.tn

تقديم الورقة العلمية الكاملة Full Paper: يراوح عدد الكلمات بين 6000 و8000 كلمة.

النص النهائي والملخص: بالنسبة إلى اللغة العربية يستعمل خط Sakkal Majalla، الحجم 14، أما بالنسبة إلى اللغات الأخرى، فيستعمل خط Times New Roman، حجم 12 (تباعد الأسطر1.5).

لغات الندوة: العربية، والفرنسية، والإنكليزية.

أصالة الورقة البحثية: ينبغي أن يكون البحث أصيلًا ومخصصًا للندوة ولم يُنشر في أيّ وسيلة نشر إلكترونية أو ورقية، ولم يقدَّم إلى أيّ جهة أخرى للعرض أو النشر.

عنوان المراسلة: ترسل مشاريع المداخلات **وجوبًا** على عنوان البريد الإلكتروني التالي:

carep.tn@gmail.com

النشر: تُنشر أعمال هذه الندوة في وقت لاحق، ويتمّ إعلام المشاركين في الإبان.

الاستفسارات: عبر البريد الإلكتروني: carep.tn@gmail.com

أو عبر الهاتف: 384 147 70 (00216)

6. المراجع

Assailly, Jean-Pascal & Claude Got. *La psychologie du risque*. Paris: Lavoisier, 2010.

Beck, Ulrich & Christoph Lau. "Second Modernity as a Research Agenda: Theoretical and Empirical Explorations in the 'Meta-Change' of Modern Society." *The British Journal of Sociology*. vol. 56, no. 4 (2005).

Beck, Ulrich. "From Industrial Society to the Risk Society: Questions of Survival, Social Structure and Ecological Enlightenment." *Theory, Culture & Society*. vol. 9, no. 1 (1992).

_____. *La société du risque: Sur la voie d'une autre modernité*. Laure Bernardi (trad.). Paris: Flammarion, 2001.

Chew, Donald H. (ed.). *Corporate Risk Management*. Columbia: Columbia University Press, 2008.

Cosgrave, James F. (eds.). *The Sociology of Risk and Gambling Reader*. New York: Taylor & Francis Group, 2006.

Di Méo, Guy. *Géographie sociale et territoires*. Paris: Nathan, 1998.

Gajdos, Thibault & John A. Weymark. "Introduction to Inequality and Risk." *Journal of Economic Theory*. vol. 147, no. 4 (2012).

Hassid, Olivier. *Le management des risques et des crises*. 3éme éd. Paris: Dunod, 2011.

Holzmann, Robert & Valerie Kozel. "The Role of Social Risk Management in Development: A World Bank view." *IDS Bulletin*, vol. 38, no. 3 (2007).

Joffe, Hélène. "Risk: From Perception to Social Representation." *British Journal of Social Psychology*. vol. 42, no. 1 (2003).

Kato, Takahiro A. et al. "Does the 'hikikomori' Syndrome of Social Withdrawal Exist Outside Japan? A Preliminary International Investigation." *Social Psychiatry and Psychiatric Epidemiology*. vol. 47 (2012).

Luhmann, Niklas. *La confiance: Un mécanisme de réduction de la complexité sociale*. Collection Études Sociologiques. Paris: Economica, 2006.

Mokdad, Ali H. "The Behavioral Risk Factors Surveillance System: Past, Present, and Future." *Annual Review of Public Health*. vol. 30 (2009).

Power, Michael. "The Risk Management of Everything." *The Journal of Risk Finance*. vol. 5, no. 3 (2004).

Proceedings of the IEEE/IAFE 1999: Conference on Computational Intelligence for Financial Engineering (CIFEr). New York: Institute of Electrical and Electronics Engineers, 1999.

Schenk, Linda et al. "Teaching and Discussing about Risk: Seven Elements of Potential Significance for Science Education." *International Journal of Science Education*. vol. 41, no. 9 (2019).

Stafford, Mark C. & Omer R. Galle. "Victimization Rates, Exposure to Risk, and Fear of Crime." *Criminology*. vol. 22, no. 2 (1984).

Watson, Sean & Anthony Moran. *Trust, Risk and Uncertainty*. London: Palgrave Macmillan UK, 2005.